

تفسير البغوي

93 - قوله تعالى : { ومن يقتل مؤمنا متعمدا } الآية : نزلت في مقيس بن صباة الكنانى وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشام قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأرسل رسول الله ﷺ معه رجلا من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام ابن صباة أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه دية فإبلغهم الفهري ذلك فقالوا : سمعنا وطاعة ﷺ ولرسوله ﷺ ما نعلم له قاتلا ولكننا نؤدي دية فاعطوه مائة من الإبل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال : تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشده ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا فنزل فيه : { ومن يقتل مؤمنا متعمدا } { فجزاؤه جهنم خالدا فيها } بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح مكة عمن آمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة .
قوله تعالى : { وغضب الله عليه ولعنه } أي : طرده عن الرحمة { وأعد له عذابا عظيما } اختلفوا في حكم هذه الآية .

فحكى عن ابن عباس Bهما : أن قاتل المؤمن عمدا لا توبة له فقيل له : ألي قد قال الله ﷻ في سورة الفرقان : { ولا يقتلون النفس التي حرم الله ﷻ إلا بالحق } إلى أن قال { ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب } (الفرقان 67 - 70) فقال : كانت هذه في الجاهلية وذلك أن أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : إن الذي تدعوننا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت { والذين لا يدعون مع الله ﷻ إلها آخر } إلى قوله { إلا من تاب وآمن } فهذه لأولئك .
وأما التي في النساء فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل فجزاؤه جهنم .
وقال زيد بن ثابت : لما نزلت التي في الفرقان { والذين لا يدعون مع الله ﷻ إلها آخر } عجبنا من لينها فبئنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية وباللينة آية الفرقان .

وقال ابن عباس Bهما : تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم ينسخها شيء .
والذي عليه الأكثر وهو مذهب أهل السنة : أن قاتل المسلم عمدا توبته مقبولة لقوله تعالى : { وإنني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا } (طه - 82) وقال : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } (النساء - 48) وما روي عن ابن عباس Bهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال : إن لم يقتل يقال

له : لا توبة لك وإن قتل ثم جاء يقال : لك توبة ويروى مثله عن ابن عباس Bهما .
وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت في قاتل
هو كافر وهو مقيس بن صباة وقيل : إنه وعيد لمن قتل مؤمنا مستحلا لقتله بسبب إيمانه ومن
استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافرا مخلدا في النار وقيل في قوله تعالى : { فجزاؤه
جهنم خالدا فيها } معناه : هي جزاؤه عن جزاه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه
فإنه وعد أن يغفر لمن يشاء .

حكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له : هل يخلف أ ب وعده ؟ فقال :
لا فقال : أليس قد قال أ ب تعالى { ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها } فقال
له أبو عمرو ابن العلاء : من العجمة أتيت يا أبا عثمان عن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد
خلفا وزما وإنما تعد إخلاف الوعد خلفا وزما وأنشد : .

(وإنني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي) .

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ما روينا أن النبي A قال : [من
مات لا يشرك بأ ب شيئا دخل الجنة] .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد أ ب النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا
محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس عائذ أ ب بن
عبد أ ب أن عبادة بن الصامت B ه - وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة - وقال إن
رسول أ ب A قال وحوله عصاة من أصحابه : [بايعوني على أن لا تشركوا بأ ب شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم / وأرجلكم ولا تعصوا في
معروف فمن وفى منكم فأجره على أ ب] ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة ومن
أصاب من ذلك شيئا ثم ستره أ ب فهو إلى أ ب إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه [فبايعناه على
ذلك .

قوله D : { يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل أ ب فتبينوا } الآية قال الكلبي عن
أبي صالح عن ابن عباس Bهما : [نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس
بن نهيك وكان من أهل فدك وكان مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول أ ب A
تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا وأقام الرجل لأنه كان
على دين المسلمين فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي A فألجأ غنمه إلى
عاقول من الجبل وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير عرف
أنهم من أصحاب النبي A فكبر ونزل وهو يقول : لا إله إلا أ ب محمد رسول أ ب السلام عليكم
فتغشاه أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول أ ب A فأخبروه فوجد رسول أ ب A
من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر قال رسول أ ب A : قتلتموه إرادة ما معه

؟ ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد فقال : يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا إله إلا
الله ؟ قالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال أسامة : فما زال رسول الله ﷺ يعيدها حتى وددت أني لم
أكن أسلمت إلا يومئذ ثم إن رسول الله ﷺ استغفر لي بعد ثلاث مرات وقال : اعتق رقبة [.
وروى أبو طبيان عن أسامة بن زيد قال [قلت : يا رسول الله إنما قال خوفا من السلاح قال :
أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا] ؟ .
وقال عكرمة عن ابن عباس Bهما قال : مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي A
ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا : ما سلم عليكم إلا ليتعود منكم فقاموا فقتلوه وأخذوا
غنمه فأتوا بها رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية :